Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تراه إذا ما جئتـه متهللا كأنـك معـطيه الـذي أنـت سائله
فمن مثل حصن في الحـروب ومثله لانـكار ضيم أو لخصـم يجادله[1]

ألا يصبح الشعر قولاً معـاداً مكروراً، بمـا تنفـر عنـه النفـوس، وتعـرض عنه الاسماع ، فيخلق على كثرة الرد ؟ ثم كيف يحتمل لقدامة ان يمضي في وضـع الاعراف ، فيمسخ ما يمكن ان ينطوي عليه الرثاء من حرقة النفس ، وجوى القلب ، ليجعله مدحاً في صيغة الماضي فحسب ، فلا يقول الشاعر ، هو عاقل وهو شجاع ، وانما كان عاقلاً ، وكان شجاعاً ؟ : (ليس بـين المرثية والمدحـة فصل ، الا ان يذكر في اللفظ ما يدل على انه لهالك ، مثـل كان ، وتـولى ، وقضى نحبه ، وما اشبه ذلك)[2] على ان قدامة لا يغلو في قيوده التي يحجر بها على المعاني والاساليب فيسمح للشاعر ان يعبر بما (ينفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير كان وما جرى مجراها ، وهو ان يكون الحي مثلاً يوصف بالجود ، فلا يقال : كان جواداً ، ولكن يقال : ذهب الجود ،او فمن للجود بعـده)[3] ، ويتضـح خطل هذا المنهج عندما نجد قدامة ينظر الى «اصابة المعنى» نظرة عقلية محضة ، فيمنع الشاعر من ان يجعل الخيل تبكي فارسها الراحل : (فمن ذلك مثلاً ان قال قائل في ميت : بكتك الخيل ، اذ لم تجد لها فارساً مثلك ، كان مخطئاً لان من شأن ما كان يوصف في حياته بكده اياه ، ان يذكر اغتباطه بموته ، وما كان في حياته يوصف بالاحسان اليه، ان يذكر اغتمامه بوفاته ، ومن ذلك احسان الخنساء في مرثيتها صخراً ، واصابتها المعنى ، حيث قالت تذكر اغتباط «حذفة» فرس صخر بموته :

فقد فقدتك حذفة فاستراحت فليت الخيل فارسها يراها

---

(١) المصدر نفسه : ص ٦٠

(٢) المصدر نفسه : ص ٩٨ .

(٣) المصدر نفسه : ص٩٨ .